هناء كامل

كرباج سعادة

fb/mashro3pdf

الطبعة الأولى

2014 م

اسم الكتاب: **كرباج سعادة**

إعداد: **هناء كامل**

رقم الإيداع: 2014 / 10974

الترقيم الدولي: 978-977-85107-3-7

جميع الحقوق محفوظة للناشر

ممر للنشر والتوزيع

26 ش شامبليون - قصر النيل - القاهرة (ج م ع)

محمول: 201004071819+

E. mail:mmrpublishing@gmail.com

الأمل للتجهيزات الفنية

المدير المسئول

حسين الحماقي

01006674335

fb/mashro3pdf

كرباج سعادة

هناء كامل

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

إلى أعزاء، كان من المفترض أن يكونوا هنا حين تخرج كلماتي برائحة الحبر؛ لكنهم رحلوا سريعًا..

وإلى أعزاء آخرين مازالوا هنا ينتظرونها..

وإلى أناس لم يعرفوني أبدًا، لكنني أحببتهم بصدق..

وإلى رفاق (جماعة مغامير الأدبية)، أولئك الذين لا أكاد أتذكر نفسي من قبلهم..

وإلى جيلي الذي يشيِّع حلمًا، ويلد آخر طيلة الوقت..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

بعيدًا

في بيتنا العتيق بالحسين، يوجد دهليز..قال لي أبي:

- الدهليز ممر طويل داخل البيت، قطعة من الشارع، خلف باب البيت.

باستغراب، قارنتُ بين ما يصف وبين مدخل بيتنا الضيق-كنصف قبر-وسرحتُ بعيدًا.

***

كانت طفلة، وكان طفلًا.

وكان الدهليز الواسع يفتح ذراعيه للأطفال.

يقفان طويلًا تحت تلك الجملة المكتوبة بخطٍّ صبيانيّ، دون أن تلفت انتباههما، ودون أن يعلما أنها ذات العبارة التي طالما ردداها خلف الشبان الوسيمين ذوي الطرابيش.

fb/mashro3pdf

"سعد! سعد! يحيا سعد!"

كانت تلك متعتهما الكبرى، إلى جانب جمع الحصى الذهبيّ، وعلى طفولتهما، كان يرى في عينيها مستقبله وتاريخه، وكانت ترى في ضوء جبينه ميلادها ونهايتها!

***

- السطح كان يحوي ثعابين، لكن المصيبة كانت في الحجرة السفلى بالدهليز؛ كانت تحوي أشباحًا!

تقولها جدتي بخطورة، مستمتعة باتساع أعيننا:

- أشباح!

- نعم؛ أشباح شريرة، مؤذية.

أثبِّت نظارتي، وأقول متذكرة جاهين:

- لماذا لم يدافع هذا المؤذي عن نفسه حين قتل؟

تغضب جدتي، وتنهض بعصبية، والصغار يلاحقونها لتكمل الحكيّ..تردد بغضب:

- هذه ليست بنتًا..ليست بنتًا أبدًا!

***

تتعرى الأشجار الضخمة على جانبي الشارع، وتكتسي مرات

fb/mashro3pdf

عديدة.وعلى ذات الحائط، تتبدل الجملة الثورية بأخرى، لكن كليهما يستطيع قراءتها هذه المرة، ربما شارك هو في كتابتها.

"لا ألمان ولا إنجليز"

وحين تطولها قامته، يتذكر الجملة الأولى بحنين، حين كان اثنان لا واحد، يرددانها دون فهم!

***

أشدُّ ذراع أبي برجاء:

- هل قابلت الأشباح حقًا؟

يجذب ذراعه متملصًا:

- لن أحكي شيئًا؛ أنت تغضبين جدتك!

- أرجوك يا أبي.

وأوشك على البكاء، فيقول:

- ليكن؛ على ألا ترعبي بها الصغار..كنت عائدا في وقتٍ متأخر.. لم نكن قد عرفنا الكهرباء بعد، وكانت.....

تتحرك شفتاه بسرعة، ساردًا تفاصيل لقائه بالشبحين، ومن حينٍ لآخر، كنت أذهب بعيدًا.

***

fb/mashro3pdf

صافرة الإنذار الكئيبة تعوي بلا توقف؛ فيهرع الجميع للمخبأ.

الكل قلق، كأنها المرة الأولى..خائف حتى الموت، فيما عداها.. وحدها كانت سعيدة!

ماذا تفعل؛ وقد كتب عليهما أن تكون لحظاتهما بين القنابل والظلام والخوف؟! ترفع يدها بالشمعة، وتتطلع إليه..تتنهد متحسرة على زمانٍ لم تكن تُسأل فيه عن شيئ.

وفي ظلام المخبأ، وعلى بريق عينيها، وضوء جبينه، كان لتلك القبلة مذاق أجمل!

سقط ذوبان الشمعة، فلسع أناملها..أجفلتْ وتطلعت أمامها، لكنهما لم يفيقا تمامًا إلا على وجه تلك الجارة التي تمصمص شفتيها استياء، وعلما أن الغد سيحمل حكاية جديدة للشارع المولع بالحكايات.

عمتي تهبط برأسها الفضي إلى الأرض بخجل:

-أنت بنت عفريتة!

فأقول ضاحكة:

- حقا يا عمتي؟ كيف كانت تبدو الجيرة في حيّ كهذا، وكيف...

وأغمز بعيني:

-....كان يبدو ابن الجيران؟!

- كفى يا بنت!

fb/mashro3pdf

وتضحك، ثم تقول ماسحة عينيها:

- ذكرتني بأيامي.

أغيّر الموضوع قائلة:

- هل كان أبي حقا صديقًا لشبحيٍّ الدهليز!

تومىء إيجابا؛ فأعود:

- هل كانا فتي وفتاة!

تومىء إيجابًا؛ فأعود:

- لماذا قُتِلا؟

تنظر لي بعتاب:

- هذه أشياء لا تقال للبنات.

أتنهّد مسندة ذقني لقبضتي، وأسرح بعيدًا.

***

fb/mashro3pdf

تحت نافذتي

الساعة تدق الخامسة..تنظر أمي إلي نظرة أفهمها جيدًا، وأتجاهلها ناهضة.

فجأة، أنسى العالم خلفي..الآن يتم أمامي آخر فصول المأساة.

أتطلع للمسرح وأبحث بعيني..هو ذا البطل مستندٌ لأحد أعمدة الإنارة، وعلى وجهه يبدو القلق.هذا الوجه الذي مرت به خلال شهر كل تعبيرات الدنيا..شاهدته يفرح، يضطرب، يحبط، يحلق..كان اليوم قلقًا.وكنت أدرك مدى قلقه.

نظر لأعلى بطرف عينه؛ فرميته بابتسامة ساخرة.

زفر بحنق، وعاد يخفض عينيه.

إنها لن تأتي..ماذا تتوقع؟ لقد اختارت الأفضل أيها الأحمق..العرق يغزو تقاسيم وجهه المليح، ويحاول التظاهر بالاطمئنان أمامي..ينظر

fb/mashro3pdf

لساعته..الخامسة وخمس! لماذا تأخرت؟ لا ريب أنه يتساءل بحمق!

أنا أدركت ما لم يدركه.

لكنها أتت!

تهلل وجهه، ونظر إلي بتشفٍّ.

المسكين!

للمرة الألف أدرك ما لم يدركه، وبدأتُ أكرهها حقًا؛ كيف امتلكتِ الجرأة لتأتي أيتها الحدأة!

بدأ يتجاهلني ومدَّ يده يتلقاها..منحته يدًا متخشبة..صافحته، ثم أسرعت تستكين بجوار صاحبتها.

بدأتُ أميل برأسي لأسمع حوارهما..من جديد أمنح نفسي الحق في معرفة ما يدور تحت نافذتي..ليتهما يرفعان صوتهما قليلًا!

كانت تشيح بيدها مقررة شيئًا ما..بالطبع تحصي له مزايا الآخر..ياعزيزي؛ لهذه الأسباب قررت أن أذبحك! الرجل يهزّ رأسه.. لا يوجد أدنى أمل! إذن لماذا جئت؟ ينظر لها..يحاول جاهدًا استجداء الفهم من وجهها الأخرس..بدا عليها الملل..أدارتْ وجهها بضيق.

أمسك كفها محاولًا استعادتها؛ فجذبتها بعنف..الآن؛ هي تتصرف كثريٍّ رقيق القلب، يحاول التخلص من لزوجة متسول أشعث!

لماذا لا تريد أن تفهم! أنت لا تملك سوى قلب، وهي بحاجة لأكثر

fb/mashro3pdf

من قلب..بدأ يفهم..بدأ يتراجع..حانت منه نظرة لأعلى فلم يرني!

عاد يلِّح عليها..أعدك أن أمتلك أكثر من قلب..هزت رأسها بأسف ومضت..ظل يلاحقها ببصره..كان يفكر ولا ريب في أن تلك الكتلة الحبيبة ترحل عازمة علي ألا تعود..لأنه ارتكب خطأ لا يغتفر..لأنه لا يملك سوى قلب!

الآن يمكنها أن تفخر بكونها حطمت خطيئته تمامًا..يحاول أن يتماسك.. يتحاشى النظر إلى ابتسامتي الساخرة غير عالم بأنها لم تعد هنا..

لحظة انهيار رجل..

أشهدها للمرة الأولى..

يدان متراخيتان..قدمان متحجرتان..عين تائهة!

أحسستُ بطرقات خفيفة على رأسي، وأدركتُ أنها تمطر، لكني عجزت عن تمييز القطرات على خديه.

كالعادة تجاهلت احتجاج أمي..كان بطل الرواية قد بدأ يتحرك متحاشيًا النظر لأعلى، وابتلعه ضباب الطريق في لحظات، وأدركتُ أنني لن أراه ثانية أبدا..ليكن؛ أنت أصررت علي التحامق للنهاية!

أدخلتُ رأسي وأسدلتُ الستار؛ فتلقتني أمي وهي تمصمص شفتيها:

- مالك؟ تبكين كمن فقد حبيبًا!

لو تعلم كم كانت محقة!

٢٠٠٢

fb/mashro3pdf

بعضُ الطيور

اقترب منها برأسه الضخم، ومد يدًا مترددة إلى الزر الذي تعلم مؤخرًا أنه خاص برفع الصوت..وقف يتابع الحديث بعينين حائرتين، ثم:

- جائزة على ماذا؟

تساءل بلهفة..

- أفضل قصة.

ردتّ باقتضاب، وأقفلت المذياع ونهضت لتعدّ الغداء..مترددًا تبعها..حافي القدمين - لولا نظرةٌ صارمة ذكرته بالخفين - ملتصقًا بحائط المطبخ الضيق، سألها:

- لماذا لا ترسلين لهم قصة؟

تنهدتْ وصمتتْ.دفنتْ رأسها في صحفة الطعام وتظاهرتْ بالانهماك، لكنه ظل شاخصًا ببصره منتظرًا إجابة..

fb/mashro3pdf

قالت بحزن:

-كسرتُ قلمي منذ زمن.

- عندي واحد..

قالها طائرًا إلي حجرته..

"هذا الفتى يقتلني ببطء" فكرت..

عاد إليها ممسكًا بقلمٍ وضعه أمامها، ومد يده بدفتر مدرسي منقوشٌ عليه بطريق يلهو..

-لن أكتب.

صرخت بها في وجهه، وتجاوزته حاملةً صحفتها..

-اجلس وكُلْ.

امتثل على مضض، لكن لم يبد عليه اليأس.

-لو أنكِ ربحت الجائزة، ربما أمكنك إحضار طقم البرازيل لي.

ثم استجمع قوته وشجاعته ليهتف:

-لن نضطر وقتها للسماح لذلك الرجل بالعيش معنا.

ودت لو استطاعت إخراسه، لكنها لم تجرؤ على إخباره بأن الرجل أيضًا رفض العيش معه!

-لن نضطر لشيء..سأحضره أنا..

fb/mashro3pdf

وأسرعت تضيف:

-..وبلا قصة.

- متى؟

سأل بلهفة.

-حين تتعلم كيف تعقد رباط حذائك!

قالت بتهكم..

-تعلمتُ هذا أمس، وأخبرتك..

ابتسامة حنان خانتها وتلاعبت فوق شفتيها..كان هذا منذ ما يقرب من شهر..لكن الفتى مازال ينادي كل الماضي بـ(أمس)!

-ليكن ذلك إذن في عيد ميلادك.

غزت الحيرة مدن وجهه منغولي الملامح؛ فأسرعت تجيب سؤالًا لم يُسأل:

-فقط بعد ثلاثة أشهر.

-ولماذا ليس الآن؟

أزعجها السؤال، ومدّت يدها بتلقائية تتحسس جيبها..مابقي من راتبها يكفيهما بالكاد لآخر الشهر.

وكأنما أدرك بمعجزة ما يقلقها، التمعت عيناه الجاحظتان بإغراء:

fb/mashro3pdf

-ربما لو استطعت كتابة قصة..

-أف! هل سنعود لهذا؟

واستطردت بخبث:

-اسمع..لماذا لا تكتبها أنت؟

ازدادت عيناه جحوظًا ولم يجب؛ فأضافت:

-حاول..المهم أن تكون قصة جميلة لتفوز..

وابتسمت متذكرة فشله في حصص التعبير الكتابي بمدرسته..

"هكذا، لن يجرؤ على فتح الموضوع ثانية" فكرت.

تناول قلمه ودفتره، وأغلق عليه جدرانه الأربعة المزخرفة بملصقات ضخمة لنعامات حزينة..

في المساء خرج، وكانت تستعد لتسخين العشاء.وضع أمامها دفتره دون كلمة..تناولته ونظرت للسطر المكتوب، ثم لصغيرها، ثم للسطر..

-ما..ما هذا؟!

-قصتي.

بخجل أجاب.

تطلعت إلى عينيه لحظة، ثم ربتت على خده السمين:

-ارتد ملابسك..سنذهب لنبتاع الطقم.

fb/mashro3pdf

شهق غير مصدق، ثم انطلق مؤجلًا فرحته، كأنما يخشى تراجعها إن أبداها، بينما عادت هي للسطر محاولة منع تلك القطرة الدافئة من السقوط.

بعد لحظات، غادرا المنزل معًا، مخلفين سطرًا يقول:

"بعضُ الطيور لا تطير، مع أنها تمتلك جناحين!"

***

fb/mashro3pdf

عكّاز

لماذا اليوم بالذات يا أبت؟!

لستُ أجدُ الوقت مناسبًا أبدًا..

يثبت الجهاز..يمنحني يده، ويتكيء على ذراعي ناهضًا.

"سنخرج إلى الناصية فقط، ثم نعود"

يقولها متصورًا الأمر بهذه السهولة.

"أعلم أن هذا شاقٌ عليكِ..أنتِ عائدةٌ لتوك..لكن.."

ويصمت شاعرًا أنه تحدث أكثر مما يجب..لا بأس يا أبي..ربما في يوم راحل، منذ أكثر من عشرين عامًا، حدث بيننا موقف مشابه، اختلفتً فيه الأماكن، كنت أنت الواقف على ساقين، بينما طفلتك تتكيء عليك لتسير!

"هبوط الدرج أصعب مرحلة"

fb/mashro3pdf

يقولها منتظرًا تشجيعًا ما..ولما لا يجده يقول متأففًا:

-هل نتراجع!

-لماذا؟ الأمر سهل للغاية.

أقولها كاذبة..عذرًا يا أبي..في يومنا الآخر البعيد، لم تنافس فكرة مساعدتي فكرة أخرى بذهنك..اليوم، ابنتك تأكل رأسها أفكارٌ شتى عداك، ويحمل قلبها جرحًا يمنعها من الإشفاق أو الأمل.

على آخر درجة، يختل توازنه؛ فأسنده بيدٍ تستمد القوة من قدسية المهمة وحدها.

-لا بأس..لا بأس..

نسير تجاه باب البيت، هو لا ريب يتذكر أيام كان يقطع المدخل بخطوة واحدة، ويتحّسّر.

أكره أن أتركه لأفكاره، لكني لا أجد ما أقول رغم هذا..أنت تلمس شرودي وكآبتي، لكنك -أبدًا- لن تصدق!

ابنتك دخلت ملهي الحب نشوانة، وغادرته جريحة محطمة!

أشعر بنظراته على جانب وجهي كلما أتاح له الطريق فرصة.. نعم..الوجه الشارد الخالي من الحياة، يداري قلبًا ذبيحًا يا أبي!

-ماذا بكِ؟!

أخيرا يلفظ السؤال؛ فأجيبه بهزة رأس:

fb/mashro3pdf

-بي أنا؟ لا شيء.

أنظر لعينيه؛ فألمح فكرة أليمة في طريقها لعقله..لا..لن أتركه يظن هذا..أرّكب تعبير المرح في لحظة، وأستعير ابتسامة من الأيام الفائتة:

-الجو رائع..ما رأيك لو نذهب لزيارة عم إبراهيم..أو..لتجلس علي المقهى قليلًا..

يضم شفتيه بشك..

-لكن..الناس..

-الناس!

أقاطعه بكل ما استطعت سرقته من حماس:

-الناس طيبون، وسأسعد بالتواجد معهم.

كم تتظاهرين بعكس ما تحتوينه أيتها المنافقة! تفعلينها بنجاح كل مرة..اليوم..ضحكتِ أمامهما..ضحكتِ معهما..ضحكتِ حتى دمعتّ عيناك، ورغم نزيف قلبك الذي لم يتوقف قط، كنت تضحكين، وفي أعماقك لهيب يحرق الأرض ويطول السماء.

منافقة!

- احترسي!

-آ..آسفة

قلتها بعد أن نجحت السيارة في تفادينا بالكاد..اتسعتّ عيناه

fb/mashro3pdf

وأخذ يحوقل..

-بالله ماذا بك؟

أخذتُ أعتذر..أوّسع عيني، وأنفضُ رأسي محاولةً طرد كل الأفكار..

-لاعليك..لم يحدث شيء.

-فلنسلك هذا الطريق..

يقولها مشيرًا للشارع الضيّق..إنه أكثر أمنًا..وظلمته كافية لإخفاء لمعة عينيّ.

لماذا لا تهدأ ثورة أفكاري لحظة! أبي يتحدث..كلماته تقتحم مرارة قلبي، ولا تترك فيه أثرًا..وحكاياته اللذيذة، أكاد لا أعيها!

وتلك الحفر، لا أراها، لكنني أومن بوجودها منذ البداية، حتى وقدمي تنزلق في إحداها، لا أفكر بالتراجع.

اختلَّ توازني، وتداعيت، ولم أنس جذب يده معي.

على الأرض، كان يقهقه، وقد انثنت ساقه الوحيدة تحته.

-من منا يحتاج يد الآخر؟!

كنت أنظر إليه وأضحك بلا وعي، وحين انتهى سيل الضحك والدموع، نهضتُ أنفض ملابسي وقلبي..مددتُ إليه يدي مجددًا..

وعاد كلانا للطريق.

٢٠٠٤

fb/mashro3pdf

بالطابق الثاني

"ليكن.."

يلقيها كبصقة، ويتحاشى النظر إلى ساقك مستطردًا: "لكن لا تجعل السادة يرونك"

***

تدفن رأسك بين ركبتيك مجددًا، وقد هزم الذعر سيول عينيك.. تضرب خدك بقبضتك..تنهنه مستجديًا الدموع المريحة..

"لا أريد أن أموت..ليس الآن يا إلهي..ليس الآن"

يستطيل جسدك قائمًا..تعرج إلى النافذة مجددًا، وقد منحك الخوف شجاعة السير في الظلام..ترسل عينيك إلى أسفل بحذر.. مـازال الأوغـاد ينظمون صفوفهم أسفل المبنى..خطواتهم تقرع صدرك، ومن عيونهم الصارمة، يطلُّ تعبير الموت!

fb/mashro3pdf

"هذا وقد ذكر شهود العيان، أن الجماعة اعتمدت على أحد عناصرها لاستكشاف المبنى وتمشيطه تمهيدًا لصعودهم"

***

أنت تعرف..وحدك تعرف، بينما الأغبياء بأعلى مازالوا في صخبهم، وقد منحهم انقطاع التيار، مزيدًا من الجنون!

لكنك تعرف..وحدك تعرف الخطوة التالية لانقطاع التيار..تعاود التهاوي..أين يمكنك الاختباء من كشاف مبعوثهم، وكيف تحتمي من طلقاتهم؟!

لن تسعفك ساقك..هل يشفع لك كونك عامل مصعد؟ هل تشفع عاهتك؟

صورة جثة الخادم المتفحمة، تغادر نشرة الأخبار، لتملأ ذهنك، مجهضة كل أحلام النجاة..

عد إذن إلى مصعدك المتوقف، و الفاغر فاه كمقبرة!

***

"سيدي..لم يأت محمود اليوم..يحضر دفنة أبيه في (البلد)"

تُلقي الخبر، وتعود مستغلًا فرصتك جيدًا.

"أ..يمكنني أن أقوم بدوره؟"

وترفع القصيرة عن الأرض بحركة تلقائية؛ لتبدو قامتك معتدلة.

fb/mashro3pdf

"جربني..سأجهز للحفل، وأخدِّم على السادة"

وحين يفتح فمه، تلتقط تصريح الموافقة، وتحاول نسيان بقية كلماته، مستمتعًا بفرصة عمرك.

***

ضحكة ماجنة وسط الظلام..تراها من ذات المرأة التي منحتك بسخاء حين لمحتك تراقب ساقيها!

ليتهم يستردون كل بقشيشهم، ويمنحونك حياتك الليلة.

مازالوا بأعلى، ينعمون بالجهل..كم تتمنى تمزيق لهوهم بمعرفتك!

"لكن..لا تجعل السادة يرونك"..حسن أيها السيد..دعهم لا يروني!

***

- وماذا يحدث ليلًا يا محمود؟!

- ليلًا؟ يوووو!

تتسع عيناك دهشة، بينما يخوض في حكيه..لا تدري كم مرة صدقك، وكم مرة اختلق!

أشياء كثيرة يصعب تصديقها.

- والنساء!

fb/mashro3pdf

يقهقه، ويغمز لك، ثم يعود للحكي.

أشياء كهذه، لا تراها إلا عبر وصلة (الدش) في المقهي، على ناصية الشارع العموميّ..يحمر وجهك، وتنظر أرضًا..تتمنى لو أن لديك خيار التحكم في الصوت والصورة!

***

بقعة ضوء، تصعد السلم، تخطت الطابق الأرضيّ، وتتجه اليك الآن.

ازددتَ التصاقًا بمرآة المصعد، وبدأتَ تكره ساقك للمرة الأولى!

***

- انهم يسخرون مني حين ألعب معهم!

تلقي أمك بوجهها في جردل الماء، بينما يبصق أبوك، ويصيح:

- أولاد كلاب! قل لهم إنها خلقة ربنا.

***

يصعد إليك، بلحيته الرثة، وجسده الممشوق، وكشافه المثبت أعلى فوهة الموت!

يدير سلاحه في كل ما حوله، جالسًا على ساقٍ ونصف، يمنح ظهره للجدار، ويستمر في مداعبة الطابق المظلم ببقعة ضوئه القاتلة!

تزداد التصاقًا بالمرآة..تغمض عينيك المبتلة ذعرًا وألماً..لماذا

fb/mashro3pdf

صارت لأنفاسك فجأة هذا الهدير المزعج، وكيف صارت طرقاتُ قلبك بهذا الدويّ؟!

- اخرج يا كلب..أعلم أنكما هنا!

يقولها الأستاذ، وينحني أسفل التختة؛ فتسارع بترك يدها، وتغطي عينيك بيد صغيرة مرتجفة، مطمئنًا إلى أنه بهذا لن يراك!

***

لكن..عليك أن تفتحهما الآن، مستطلعًا الأمر..فلتفتحهما مجربًا حظك.

اتسعتا إثر الدهشة والضوء..الضوء الذي لم يكن يواجهك؛ بل ظهره الممشوق هو الذي يواجهك..يكاد يلتصق بك..ترى، أية غلطة يرتكبها ذلك الأحمق بإعطاء ظهره إلى بقعة لم يمشطها بعد!

كانت مطفأة الحريق موجودة منذ دهور، ولكم ظننت أن عملها الوحيد هو الارتطام بساقك!

تنحني بهدوء يدهشك، تحملها بقوة تدهشك..ينتبه لحركتك، يستدير مسرعًا؛ فتعاجله بضربة قوية، يسقط على إثرها موجهًا لمرآة المصعد عدة طلقات..أجهزتَ عليه بجرأة تذهلك، ثم انهرت أرضًا مفكرًا في حقيقة اللحظة.

إنهم بأسفل..ينتظرون إشارة البدء..وأنت وحدك تعرف.

fb/mashro3pdf

والحمقى بأعلى، صوت مجونهم يغطي كل شيء، ويثير أعصابك.. تناولتَ بقعة الضوء بحذر؛ فجرَّتْ السلاح خلفها..وعدتَ تنهض.

تطفر الدموع في غير وقتها؛ فتمحوها بكمك..فلتكمل ما بدأته.. عليك أن تقاتلهم..عليك أن...

مهلًا..من أنت؟!

تستدير سريعًا موجهًا سلاحك للمصعد فتُفاجأ بنفسك..تتطلع إلى صورتك المتشظية..إلى ملابسك..إلى عينيك..تأخذك شروخُ الصورة لحظات..

"لا تجعل السادة يرونك"

تطفر عيناك مجددًا، وتئن ساقك المجهدة فتستند للجدار.. لكن..عليك أن تكمل ما بدأته.

عليك أن تقتلهم!

تحتضن سلاحك..ناقلًا عينيك بحيرة، بين النافذة والدرج.

***

٢٠٠٦

fb/mashro3pdf

عدد: اثنان..

أخطو بين صرخات النساء؛ فتخترق أذني وتعبرها..أسرع الخطا لمكتبي؛ فأدلف وأغلق بابه..

بعد كل هذه السنوات هنا..هل لا زال الموت موتًا؟!

أضع رأسي بين كفيّ، ضاغطة صدغي، محاولة السيطرة على هذا الصداع..

طرقات على الباب، ثم تدلف الممرضة مبتسمة..

- صباح الخير

- صباح الخير..من؟

- فتاة الحافلة بالطبع

- هكذا سريعا!!

هزت كتفيها، وقالت دون أن تلحظ شرودي:

fb/mashro3pdf

- سريعا!..جميعهم ماتوا حال وصولهم..لقد عافرتْ يومًين كاملين

ووضعتْ أمامي حقيبة بلاستيكية، ثم قالت مخرجةً ورقة

- متعلقاتها..

بيمنى مرتجفة، بدأت أخرج المحتويات، وبيسري باردة، أخذت أخط:

-عدد: واحد حقيبة يد حريمي، تحوي..كتاب جامعي+ أجندة+ محفظة بها..مم..خمسة جنيهات وستون قرشا

- عدد: واحد تليفون محمول نوكيا قديم..يعمل

- عدد: واحد ساعة حريمي

- عدد: واحد قلادة فضية

"تبدو جميلة"..

قالتها بافتتان؛ فانتزعتها ملقية إياها بالدرج

- ليس هذه المرة

- عدد: واحد نظارة شمسية..تالفة إثر الحاد...تبا!!

ونزعت يدي سريعا، فأسرعت الممرضة تقول

- عذرًا..إنها لا شيء

وتناولتْ النظارة محاولة محو نقطة الدم فوق عدستها المهشمة..

fb/mashro3pdf

- لم أنتبه

- لا عليكِ..

وقعتُ الورقة بيدٍ متماسكة، بينما تقوم المرتجفة بإلقاء النظارة في الدرج

انصرفت، وبقيت على حالي لحظات، ثم نهضتُ معيدة إغلاق الباب، أفرك كفيّ شغفاً..لولا الصداع؛ لاكتملتّ المتعة التي لا تتكرر بسهولة

وبدأتُ أمارس هوايتي في نبش القبور..

حافظتك يا صغيرة، ترى، ماذا تحوي أيضا؟

أخرج الحافظة، أفتحها متفحصة..

عملة ورقية، ألغيت منذ فترة، عليها إهداء "إلي ابنتي الحبيبة..كل عام وأنتِ بخير"..

ابنتي؟..الحبيبة؟؟

تري، من أي بلد أرسلت تلك؟..السعودية..الكويت؟..بل ليبيا..انها ليبيا بالتأكيد

***

-أبي..متى تعود؟

متى تعود، تكبر كل عام، وينضج صوت قائلتها، متى تعود..تتمدد

fb/mashro3pdf

لتأخذ مساحة محفوظة من المكالمة التالية..متى تعود؟

تصبح عادة

-العام القادم..هذا هو عامي الأخير في الغربة..أعدك

كانت كل الكلمات قد حفرت فوق وجه المكالمة، ثم شوه هذا الوجه بماء النار..بدءا بابنتي الحبيبة..وحتى "أعدك"..والعام القادم.. القادم دومًا..ولحظة اللوم:

- لماذا أنا مسافر؟..من أجل من أتحمل الغربة..كوني قدر المسؤلية، واهتمي بهم..لتكن أخباركم السارة، هي ما يمحو آلام غربتي..

وأنا يا أبي..من يمحو آلام غربتي؟!

***

صورة قديمة، بالجيب الأمامي الشفاف، لامرأة نحيلة الوجه..هذه امرأة ميتة، لا يمكن إلا أن تكون كذلك..تري، هل تعذبت قبل وفاتها؟.. أم ماتت أيضا بهدوء؟

أمي..لا تموتي الآن.أرجوك ليس الآن

تكتم أناتها بطيبة:

-أرسلوا له ليعود..لم يعد المال أهم..

وتسقط،ككل شيء عزيز يسقط..تحيطه الدموع والصرخات، لكنه يسقط

fb/mashro3pdf

***

في جيب داخليّ، أجدها متقوقعة، ملتفة على ذاتها بحنين.. أخرجتها بطرف إصبعي..فضية باهتة.."أحمد إلي الأبد" محفورة على جدارها الداخليّ بخط طفوليّ..من أحمد؟

إبن عمها..جارها؟..أم ابن خالتها الوسيم، لامع العينين، رفيق الطفولة وحبيب الصبا..ذلك الذي كانت تشعر معه أنها ثرية..

بالطبع ثرية مادام هذا الفتى الجميل من عائلتي قد اختار أن يحبني أنا..

يالها من تفاصيل جميلة، جمعتهما يومًا..لكنها انتهت، دون أن يدرك أحد حقيقتها..ربما، وقفت هي أيضًا في حفل خطبته، مستغربة ملامحه..تمارس التصفيق والإبتسام، وتتمايل على الموسيقي، وتتجاهل غمزات القريبات، ونغزات القلب..

ربما، نظرت لوجهه مرارًا، محاولة التذكر..أهو هو؟!

تباً!..كيف لم يسقط من القلب بذات السرعة!!

***

في جيب الحافظة، إذن بالإعفاء من مصاريف العام الجامعي

***

في ظهر الحافظة، جدول المحاضرات خلف ملصق دعائي ملون

fb/mashro3pdf

"أختاه..إنهم يسعون لإفقادك رمز عفتك..الحجاب قبل الحساب"

الجامعة..وطوفان الأفكار المتباعدة والمتشابكة في آن..وإعصار التغيرات التي تطرأ على شخصيتك اللينة، وكمّ الإتجاهات المريبة، والعلاقات الجديدة..

وكم ابتسامةٍ مريرة بركن فمك، تراقصتْ يا صغيرة، وأنت تقرأين ملصقك، وتراقبين صديقاتك، برموز عفتهن الملوثة، يضحكن من جهلك، ويلُكن براءتك بأفواهٍ أكثر تلوثاً!

وتدخلين بلمساتهن المدربة، وخبراتهن المحكية عالمًا كنتِ تتلصصين عليه في الظلام..وتلهثين هربًا وخوفًا..

***

في جيب خلفيّ، صورة وغد..هل يمكن أن يحمل هذه النظرة إلا وغدٌ واثق..هل اكتشفتِ، أم تركته يكشف نفسه!!..هل بكتِ حين بدا الفرق بين "أحمد" طفولتها، وبين هذا..أم فقدتْ القدرة مبكرًا على البكاء؟

في ركن الجيب، تختبيء بخجل.

جذبتها أصابعي متحاشية تمزيقها..ورقة أجندة، مهترئة لا عن قِدم

٢٠ ش شاهين- المقطم

كم مرة يا تري، طُويت تلك المستكينة بريئة المظهر، وفُتحت؟

fb/mashro3pdf

وبين دفتي المحفظة، التصقت تذكرة للحافلة ١٠٥ المتجهة للمقطم..

تري، هل تخلصتِ من كل كتيباتك الدينية قبلها، وكم مرة ضبطتِ نفسك تتلين دعاء الركوب؟

يالمحتويات حافظتك أيتها الطفلة!

كم أتذكر حياتك، وكم أحسد موتك!..وكم يضج رأسي بالصداع وبالماضي!

لم أتصور وأنا أبعثر محتوياتك، أنها ستوقظ كل هذه الأفكار المصدّعة مختلطة بالخيالات المريرة!

بحثتُ بعيني عن أهرام الأمس، تناولتها، واقتطعتُ قصاصة صغيرة.."مصرع أكثر من ٢٠ في إنقلاب حافلة"..طويت الخبر، ودسسته بجيب الحافظة

فبدا كنهاية مُرضية نالتها إحدانا..

***

٢٠٠٧

fb/mashro3pdf

رغبة

أرفع رأسي عن وسادتي المبتلة..اليوم، تموت الحكاية..تصل لنهايتها التي انتظرتها طويلًا..يهمس القدر في أذني أن (توتة توتة)!

فرغت حدوتتي، ولم تفرغ تلك اللعينة من رأسي بعد..حتى الحب، يتجه غربًا بلا أمل في إشراق جديد..بينما هي باقية..تقتلني كل دقيقة!

أنفض عقلي؛ فتزداد التصاقًا..أضع رأسي تحت الماء البارد؛ فتزداد اشتعالًا..

تطلعتُ لوجهي متمعنة..كيف أنتِ بهذا الضعف؟..كيف تحترقين برغبةٍ صغيرةٍ كهذه؟

أطيلُ النظر للعينين، الظلُ الأزرق يناسب آخر لقاء..أجل..فليكن أزرق..هيا..اهبطن جميعًا قبل التزين أيتها الدافئات!

لا داعي للطلاء الذي تفضلينه، ليس يوم زفافك على أية حال!

fb/mashro3pdf

"أتمنى لو يضمني"

خرجت الكلمة من أطنان الذكريات المحتشدة..كوّنت عائقًا بيني وبين تلك الأخرى في المرآة!

"أتمنى لو يضمني"..في أيام الحب الأولى، قلتها لصديقتي دافنة رأسي في الوسادة..تجاهلتُ تعليقها الساخر، وعدت أهمس "أريد صدره..أريده بشدة" وتشفق عليّ وسادتي، فتحاول تحقيق أمنيتي!

خرجتُ من مرآتي محاولة الخروج من ذاكرتي أيضًا..رغبتي الحارقة، مازالت تستعمرني..أين الشرود؟! أين خواء العقل؟! أين الجنون حتى؟!

وجهه الجامد يرحل عني بهدوء، ويبقي صدره العريض فقط أمام عينيِّ.أخطف حقيبتي، وقد قررت أن أبثه أمنيتي..لو كنتَ راحلًا لا محالة، فاتركني على صدرك دقيقة..لحظة..حقق لي أمنيتي أيها الراحل، ومُتّ بعد ذلك ما شئت!

***

- أريد أن..

يمنح عينيه للطريق..

- تريدين ماذا؟ هل يوجد ما لم نقله؟!

fb/mashro3pdf

أهزّ رأسي بقوة..مطلقًا..قلنا كل شيء..في ثورتنا أمس، وفي نوبة تعقلنا اليوم..

- لكن..وددتُ فقط لو..

هيا..انطقيها أيتها الجبانة..لا تتركيها لليل..لا تتعذبي بها وحدك!

- لو ماذا؟

يتساءل وعيناه في عينيِّ محاولًا تشجيعي؛ فتغرق كلماتي في بحرين من الجمود..لم أعد أحبه!

أعرف الإجابة حتمًا..رحل كل شيء..رحل إلى بلدان بعيدة، صقيعية الأجواء، فلم بقيت تلك الرغبة تمزقني؟ لم لمّ ترحل مع من رحل؟!

- أريد..أن...

وأصمت..هشة..غبية!

هو ذا صدره يقابل رأسك تمامًا..افعليها إذن مادمت لا تقوين على الطلب..القي بها فوق صدره، وليظن ما شاء..لن يراكِ ثانية، فأريحي نفسك.

تلتصق عيناي بصدره الضيق..لا أرى عينيه لكنني أومن باضطرابهما..أصابعه كذلك لا شك تهتز توترًا..

- ماذا بكِ؟!

يخشى مدّ يده..يخشى الغضبة المعتادة..أيها الأحمق، إنه الوداع،

fb/mashro3pdf

فلا تخش شيئًا!

إصبعيه تحت ذقني، ينجحان في رفع عينيِّ إلى وجهه من جديد، فلا أحاول طردهما هذه المرة..

- ماذا بكِ؟!

***

- أريدُ صدرك..

يحتار بين تضييق عينيه حنانًا وتوسيعهما دهشة؛ فيبقيهما بلا تأثر..

- تريدين..صدري؟!

- اتركه لي دقيقة..

ترتعش أهدابه قليلًا، ثم يتماسك..

- لكنك كنتِ..

يلمحها في عينيِّ، فيقطع حديثه..يفتح ذراعيه؛ فأقترب..بهدوء، ألقي بجعبة الأفكار والأسرار والأحلام على صدره..

كم هو دافيءٌ هذا الحضن! ربما، أكثر مما تمنيت..

لا أدري متي ارتفعتُ عن الأرض، ولا كيف نبت هذان الجناحان.. تطربني الطرقات الرقيقة المتسارعة، منطلقة من قلبه الي جزء غير معلومٍ مني؛ فباعثة فيه نشوة لم أحسها قبلًا.

fb/mashro3pdf

تزداد اعتصارته؛ فأزداد تحليقًا!

لكنني أعود للأرض سريعًا، ربما بفعل ذلك العصفور الحقيقيّ المزعج، الذي شقّ صوته سكون اللحظة..

أفقتُ، فوجدتني قد بللتُ وسادتي كالعادة..

***

٢٠٠٤

fb/mashro3pdf

كرباج سعادة

في مرآة المصعد، عادت تلك الإبتسامة تطالعك..تقتلها بخجل، وتحاول أن تبدو منضبطًا.

- مساء الخير.

يرفع رأسه الأصلع متطلعًا إليك.

- عندي موعد مع الأستاذ.

يشير لك بالجلوس، ثم يلوي شفتيه متوجهًا للداخل؛ فتعلم أن ابتسامتك بُعثت..مازلتَ غير قادرٍ علي حل لغزها..منذ الصباح، صحوتَ وذلك الشعور الطاغي بالسعادة يلسعك.

ضبطتَ وجهك يضحك في مرآة الحمام بلا سبب..لا شيء مختلف..أخبارُ الصباح تنطلق متوجهة إلي صدرك كالعادة، لكنها لا تثير فيه إلا المزيد من الرغبة في الضحك!

fb/mashro3pdf

حلقتَ ذقنك للمرة الأولى منذ شهر، وقبلت يد أمك للمرة الأولى في حياتك، وحين تلقفك هواء الشارع، سحبت نفسًا عميقًا منه، وبدأتَ تتطلع للسماء؛ سماء الشتاء التي تعشقها، قمم الثلج الهائمة وسط الأزرق العظيم تبتسم لك..رددت الابتسامة وبدأت تعاهدها:

- لا بكاء اليوم.

تفرد جناحيك، وتدور كالزمن..أنت سعيد..سعيد!

أفقتَ على صوت السكرتير الأصلع، يدعوك للدخول علي الأستاذ.

أمام مكتبه تقف..يرفع عينين متعاليتين عن أوراقه.

- مرحبا بالكاتب الجريء.

رددتَ بابتسامة لم تجد سواها..مد يده واضعًا قصتك أمامه.. يتفحصها متعمدا إثارتك.

- مم..قصة جميلة وموهبة متدفقة.

تتابع شفتيه منتظرًا ال(لكن) القاتلة، لكنه لا ينطقها..ينهض.. يقترب منك..يقول بلهجة عملية:

- القصة أجمل من أن تخرج لكاتب مجهول الاسم..قصتك تحتاج..

يضع يده على كتفك..

-..لدفعة حقيقة، وأنا سمحت بوضع اسمي عليها.

fb/mashro3pdf

تتسع عيناك حتى تبتلعان وجهك.

- ولكن..

- سأقف خلفك يا صديقي..لاتخجل..أنت تستحق.

تغيم عيناك، حتى توشكان على المطر..تطالعك السماء من نافذته؛ فتبتسم لها مجددًا.

- أريد وقتًا للتفكير.

مطَّ شفتيه ازدراء.بدا على استعداد للهجوم ثم تراجع.

- لابأس.

بصعوبة، تنزع قدميك مما غرستا فيه، وتنصرف حاملًا قصة وضحكة..ينتهي طريقك إلي الحديقة..تدخل الابتسامة ساحبة إياك خلفها..ها هي فتاتك تقف في مكانكما المفضل..لكن حين تقترب تكتشف أنها ليست هي..

- مرحبًا..

-.........

- تأخرت؟

- بل أنا بكرت.

ثم تلتفت إليك بعينين حمراوين:

fb/mashro3pdf

- خيرًا! كالعادة؟ هه!

- لا..هذه المرة سيتفضل بوضع اسمه الكبير على قصتي!

مدَّت يدها لتعبث بخصلات شعرها الثائر بملل..

- وبعد؟!

- ماذا يمكنني أن أفعل!

وتضحك بسعادة؛ فتنظر لك مندهشة!

- أنت تضحك!

تهز كتفيك مرتبكًا:

-أ..الواقع أنني سعيد للغاية اليوم!

- آمل أن تظل سعيدًا للغد..أما أنا؛ فلن أظل تعيسة!

واستدارت..هذه المرة كانت تعني ماتقول..كانت جادة كما لم ترها من قبل..

- حبيبتي..أنا..

لكنها تشق طريقها مبتعدة..

لا تدري لماذا تخشبتِ قدماك، ولم تلحقا بك حين طرت خلفها، واحتضنتها طالبًا الصفح!

وفي بركة الماء تظهر ابتسامتك جلية متحدية ضعف بصرك..

fb/mashro3pdf

رفعت عينيك إلى سمائك مجددًا العهد..لا بكاء اليوم..لكن-لدهشتك- كانت هي قد بدأت تبكي!

انقبض صدرك.

بدأ الصقيع يغزو روحك..تمنيت لو تلحق بفتاتك وتحيطها بمعطفك، لكنك تذكرت أنك لا تلبس واحدًا؛ فضحكت..آلمتك الضحكة وجرحت حلقك!

هربت من البلل إلى ما تحت تلك المظلة..بدأ الليل يزحف؛ فنزعت نظارتك، وتمددت على الحشائش متوسدًا ذراعك.أغمضت عينيك، بينما بهتت هي على شفتيك، وأخذت تذبل رويدًا.

***

٢٠٠٤

fb/mashro3pdf

شيخوخة

- إنها الليلة!

تهمس بها بصوت لم أكد أسمعه، كأنما تخشى خرق جوها الشاعريّ.

الشموع مهتزة الأضواء، تخلق جوًا خانقاً، بينما تتراص أطباق الطعام علي شبه حالها..أحرِّك ساقي مدعيًا الملل..

- لا لزوم لجملتك.

تجاهلت رنة السخرية، ونهضت مقتربة..

- تعرف! لو حدث الليلة؛ فسأشعر بهذا لتوه!

تقولها وهي تتحسس بطنها..

- ولو لم يحدث؟!

أطرقت قليلًا؛ فلم أعرف هل لاحظت رنة التهكم العصبي في

fb/mashro3pdf

صوتي أم لا..ثم عاودتْ سفرها إليّ..أرخت يدها تداعب رأسي، مستثيرة فيَّ ما شاخ منذ زمن!

- مازال أمامنا فرصتان لهذا الشهر..فلو أنك..

- عرضٌ مشكور..فلنلتزم بالتعليمات..دعينا ننه هذا الأمر سريعًا.

ركعتْ أمامي بصورة مفاجئة؛ أربكتني..حولتُ عينيّ عن وجهها المتوهج بفعل النار والإثارة..

- ليست مسرحية..فلنكن طبيعيين.

قالت برجاء، لامسة ذقني.

- فلنكن طبيعيين، إنها ليست مسرحية! إنها..أتعلمين ماذا؟! إنها تجربة جديدة، وفرصة أخيرة لي.

أقولها مستجيبًا لجذبة يدها.

تصطدم عيناي بلهيب عينيها؛ فتذوب جبال سخريتي، وتنزوي عصبيتي الخبيثة، وتتوقف تلك الغصة بمنتصف الحلق تمامًا.

أقرب وجهي منهما..هاهما من جديد..تتألقان باللهب والرغبة.. رغبة صريحة لم تكف ثلاثة شمعدانات متوهجة لإخفائها!

ها هما من جديد، وقد هربتُ منهما زمنًا..أحاول عبثًا تحريك رأسي لأي جحيم مختلف..هوذا الملجأ القديم يؤكد قدرته علي التحول للضدِّ.

تقرب وجهها أكثر..

fb/mashro3pdf

- هل..هي فرصتي الأخيرة؟!

تستنكر بحركة خفيفة من أهدابها، وتقترب أكثر بعينيها

آه أيتها الجميلتان!

مازال كبريائي يركع أمامكما بسهولة!

شيء ما، يسمِّرني أمامهما بخلاف الرغبة والتوهج..بريق خفيف، لم أرَ صدقه منذ دهور، هو ذا يحرك مثله في عينيِّ..أقترب من عينيها عازما علي دمج المثلين..

ترتفع الكف البضّة؛ فتمسح على شفتي العليا بشبق..

لكن..كيف؟!

تبًا لك أيها العقل، حين تعمل في وقتك تماما!

كيف!

كيف ترتجفين حبًا بين يديّ الليلة، وقد قلتِ ما قلتِ بالأمس فقط؟! كيف!

- ماذا؟

ينساب السؤال الهامس من بين شفتيها المصبوغتين، حين تلمس تحجري مجددًا..

- هل هي فرصة أخيرة؟!

في مشهد أرعبني، تنطلق نيران الغضب من مكان ما، في العينين القريبتين؛ فتزيح توهج الشموع وبريق الدموع، ولهيب

fb/mashro3pdf

الرغبة..نيران تأكل نيران في عينيك يا جميلتي! هكذا؟ عودي لطبيعتك لأتمكن من العودة!

- فرصة أخيرة لكلينا معًا..ألا تفهم؟!

هبّت ممسكة بذراعي..

- حاول أن تفهم..

- أنا لست عاجزًا، ولم أشِخ بعد!

هربت بوجهها للأرض..

- قلتُ هذا في ساعة غضب.

- حقًا؟!

تحركت النيران من جديد، وانطلق القصف إلي صدري..

- تبًا لك..لو أنك لا تريد؛ فأنا أيضًا...

ألصقتُ شفتيَّ بفمها محاولًا وقف إطلاق نارها؛ فصبت غضبها في حلقي! أخيرًا هبطت تلك الغصة، وتذوقت مرارتها..الآن فقط، أصبح كل منا على طبيعته..

حاولتْ تسوية خصلاتها..كان البرد يلفنا برداء ثلجيّ؛ فارتجفتْ.

أحطتُ ارتجافتها بذراعي، دافعًا إياها لحجرتنا المعتمة، موقنًا أنها فرصتي الأخيرة..مطمئنًا لوجوده الكريه الواقي بجيب منامتي!

٢٠٠٦

fb/mashro3pdf

بين النملة وشعاع الشمس

يتطلع لكفِّه، بعد أن ملَّ الجدران..كفُّه متسخة، لا يذكر متي غسلها آخر مرة..زفر بحنق.."اف..لا أدري ماذا أفعل أيضًا؟"

كان قد انتهى من عدِّ ذرات الشمس المتدفقة داخل هذا الشعاع الرفيع، كما ملّ التطلع من نافذته الضيقة، وصديقته النملة لم تخرج اليوم.

"لابد أن أفعل شيئا قبل أن أُجنّ"

إلى الجدار من جديد..كل من مرّوا هنا، تركوا بصماتهم فوقه..

بالكاد، وجد لنفسه مكانًا..لوحته التي رسمها أمس -أهو أمس؟!- مازالت أجمل الرسومات على الحائط، وإن كان لا يدري هو نفسه معناها!

تهلل وجهه حين لمحها خارجة من أحد شقوق الجدار..

-كيف حالك؟!

ردت تحيته بفتور حاول أن يتجاهله:

fb/mashro3pdf

- تأخرتِ اليوم!

نظرت له دون أن تجيب..لابد من الاعتذار..هو يعرف كبرياءها

- أ..أعلم أنكِ غاضبة..كنت أصلي حين خرجتِ أمس..لم أقصد أن أتجاهلك

لم تجبه رغم اعتذاره..استدارت عائدة للشق..حاول استبقاءها، لكنها لم تمنحه فرصة..ضرب يده بالجدار بعنف وغضب..سيعاني فراغًا قاتلًا حتى تسامحه..عاد إلى شعاع الشمس..وقف معه طويلًا.. اكتشف- لدهشته- أنه لا يستطيع الإطباق عليه..حاول كثيرًا..لا فائدة.. بدأ يتطلع لكفه من جديد..الرسم على الحائط، لم يضرّس أسنانه فقط، بل كسر ظفره أيضا.."كل هذا من أجل لوحة لا معنى لها!" ضحك متخيلًا محاولات القادمين بعده لتفسيرها..لاريب أنهم سيقضون وقتا ممتعًا في هذا..تمنى لو أنه وجد مثلها في لوحات سابقيه الغبية.عاد إلى النافذة..الدلو مازال مقلوبًا تحتها..حتى مع الوقوف فوقه، مازالت النافذةُ بعيدة..النظر منها يؤلم عنقه، لكنه يتسلى بسماع أحذيتهم الثقيلة تضرب الأرض من حين لآخر، وربما أسعده الحظ بالتقاط كلمة من هنا أو هناك..عاد يرفع عنقه..السماءُ كئيبةٌ خلف هذه الشبكةِ المعدنية، لكنها تكون فاتنة؛ إذ تتحول للبنفسجيّ..طيلة عمره يحب هذا اللون..أسند رأسه علي الجدار متنهدًا..هاهو يذكرها من جديد.. عادتْ تطلُ بعينيها الثرثارتين علي عزلته الخرساء.."موعدك ليس

fb/mashro3pdf

الآن حبيبتي..موعدك ليلًا، حينها أحتاج لهذا النور"

لا..لايريدها..أمس-تراه أمس!- حلم بها حلمًا مشينًا..لا..هو لا يريد مزيدًا من الخجل..

نزل من فوق..

بدا أكثر تعاسة..مازال اليوم طفلًا..الليل بعيد، وهو كفَّ عن العدِّ..أفلتت أيامه من بين أصابعه كشعاع الشمس هذا، لكنه واثقٌ أنهم بالخارج يحسنون العدّ..

بالتأكيد لم ينسوه..سيأتي عم (رضوان) قريبًا ليعيده لرفاقه. الأوغاد.أوغاد، نعم، لكنه اشتاقهم كثيرًا؛ اشتاق سحناتهم الشرسة ودعاباتهم الفاحشة، اشتاق حتى سبابهم وتحرشاتهم..

"أقسم أنني لن أعود هنا أبدا..أقسم أنني سأتقبل منهم أي شيء"..ينكسر حماسه دومًا علي حافة الكلمةِ الأخيرة..كان يعلم أنها لا تعني(أي شيء)..دومًا سيبقى شيءٌ يعيده إلى هنا.."أف"..عاد إلى شق الجدار..

- "اسمعي..لا يوجد معنى لما تفعلين!"

- "حسبت أننا أعقل من هذا!"

لم يتلق ردًا؛ فعاد يقول بإغراء:

-"سيُزَّج بالإفطار الآن..يوجد كثيٌر من الفتات بانتظارك"

fb/mashro3pdf

-"تبًا لك يا غبية!"

هذه طبعا لم يجهر بها..لا يريد تصعيد الموقف..خفض رأسه بحزن

جذب نظره شعاع الشمس الرفيع، ذهل لأنه لم يسع لاستكشاف مصدره من قبل..مدّ بصره لأعلى..يااااه..إنه يأتي من فتحة صغيرة بأحد أركان السقف..ركن بعيييييد..هذه المرة لن يفيده عشرون دلوًا مقلوبة..أخذ يدور حول نفسه باحثًا عن شيء يصلح.

"ألا يوجد حبل؟!"

"حبل! أية سخافة؟!"..فكر بتسلق الجدار..أخذ يتحسسه.

إنه متساوٍ..ليس فيه بروز واحد..لن يستطيع تسلقه ما لم يصر نملة..ضحك حين تخيل نفسه معتليًا ظهر نملته ليصل!

"فقط لو تصالحني تلك اللعينة!"

أتعبه التفكير..جلس فوق الدلو المقلوب، وتنهد بحسرة، نازعًا عينيه من الفتحة المشعة:

"لافائدة..لن أصل إليك حتى لو شنقتُ نفسي!"

فكر هنيهة، ثم عاد برأسه لأعلى..

***

fb/mashro3pdf

بقايا قطرات

- تفضل..

أتطلع لرزمة النقود بخمول..منذ أيام قلائل، حلمتُ بعشرها فقط..

اليوم..تتجسد أضعاف الحلم أمامي..تمتد بها يدٌ طرية ناعمة، لا هدف لها إلا أن يستقر المبلغ في جيبي، وتستقر الأوراق معها.عدت أرفع عينيَّ لوجهها..ابتسامتها الدسمة المشجعة تملأهما، ويتحير قلبي في كنه تلك الرجفة: طربٌ أم خوف؟!

- تفضل..

عادت الكلمة تتحدى طنين أذنيِّ..دلفتْ لكنها بقيت دهرا لتُفهم..

أتفضل ماذا؟! من أجل ماذا؟!

تنجرف الموجة الرائقة علي شفتيها إلي شلال هادر أكثر دسامة..

صدقني أنت إنسان ظريف!

fb/mashro3pdf

حقا مولاتي! أكثر ظرفًا من أي نخاس رأيته؟ هذا يسعدني..عيناها الحالمتان -اللتان طالما سافرتُ فيهما- تلعبان اليوم دوركشافين عملاقين يعريانني بلا رحمة..يعبثان بمحتوياتي بلا تحفّظ، بينما يدها مازالت ممدودة..كم تمنيت من قبل وقوفي بين يديها..هه!

ماذا أصابك أيها القلب الغبي؟ كانت على الشاشة أقرب إليك من نبضك، والآن تفصلكما أميال من الفتور!

كانت في سن أمي، وكنت أعشقها؛ أعشق فنها، أعشق عشاقها! حلمتُ طويلًا أن أبيع الدنيا كلها وأشتري عينيها.اليوم: أنا المباع الوحيد، وهي تعرض ثمنًا لم أتوقعه..يالي من سلعة غبية تجهل قيمتها!

تبًا! لماذا اختاروها هي لإتمام الصفقة؟

لماذا يصغركل شيء الآن؛ فأرى موهبتي ذرة رمال، وأرى نفسي لا شيء..أتطلع ليدها الممدودة لحظة.

كلمات المخرج ترجُّ عقلي منذ الصباح كما يرج مرآها قلبي الآن:

- عزيزي..تريد الوصول؟ تعلم كيف تبيع.

أمدُّ يدي لأتناول النقود، وأمدُّ قدمي لأهرس ذكرى أستاذي هرسًا..أدفع بالورق مُلقيًا عليه نظرة أخيرة؛ فتهيلني بقايا قطرات تلوث حوافه..تنسحب يدي بحملها، وتنسحب قدمي قليلًا عن فم الأستاذ.

- الفن يابني هو أن تقول..أن ترفع رأسك..أن توجد..

fb/mashro3pdf

هذه حقيقة آمن بها ابنك أمس؛ حين رفع رأسه بينما أطنان الورق تعلو مكتب، حين كان اسمه على سيناريو ما يعني له الحياة والموت؛ يعني كفاح الأمس وأحلام الغد.

اليوم،كفر ابنك بكل شيء..حتى أبوه الذي في السماء صار علامة استفهام كبرى؛ لا يعرف هل عاش معه على الأرض وعلمه حقًا أم كان أسطورةً من صنع خياله الحالم!

اليوم..يمدُّ الفن يده مشتريًا روحي برزمة نقود، بينما قطرات العرق على ورقي لا تعني له الكثير.

- تفضل..

عدت أتطلع لها بحب..مازالت يدها ممدودة..بعد لحظة، سيبدو عليها الملل، وستزفر حنقًا وغيظًا..فرصتك الأخيرة أيها التلميذ الشقي..أشدُّ قامتي وأقول ناظرًا لعينيها:

- لا

وقبل أن تبتلع ذهولها..أطبع على عينيها قبلتي، وأنصرف محتضنا أوراقي.

***

fb/mashro3pdf

عدوى

أمام قبرها أجده..واقفا يتلو الفاتحة، وقد سبقني إليها كالعادة.. دائمًا ما يسبقني إليها.

يالمرارة حلقي، اذ أتذكر أن استثناء هذه المرات هي المرة الفاصلة..أتذكر..وتبتلّ أعماقي

***

إبتسامتها الوردية، تنير الحي بأكمله..تمازح صديقاتها وتضحك.. فأقف مراقبًا إياها..فارسٌ، علي وشك أن يخطف محبوبته..

الآن سيصدر فعلها الأحب إليّ..

تمازح صديقاتها..وتضحك..ثم تزيد ف الضحك..حتي تدمع عيناها

تمسح دموعها ببقايا ضحكاتها؛ فيخفق قلبي

أريدك يا فتاة..أريدك بأي ثمن

fb/mashro3pdf

إنهما متحابان..إنهما فقيران..إنهما يتواعدان، علي مرأي من قلبٍ نازف

يمسك يدها..ينظر في عينيها..يُضحكها ويتجاهل-الأحمق- مراقبة ضحكتها وما يتلوها من دمعات

لن تكون لك..ثق من هذا أيها العاشق المعدم

*** ***

أقترب من القبر الرخاميّ

أقترب من ملح خديه، ومن يديه المبتهلتين

أقترب من وروده الموضوعة أمام الشاهد، والتي نسيتُ إحضار مثلها

أقترب من ذكراها أكثر

*** ***

- سأتزوجها يا أمي

- لماذا هي بالذات؟..كل الحي يعلم أن المسكينة...

-أمتلك الآن مالًا..ولا يعنيني كثيرًا ما يعلمه الحي

- يا ولدي..

- ستأتين معي أم ماذا؟

*** ***

fb/mashro3pdf

معه في تلك الحديقة..وأقف أنا مراقبًا إياها..حدأة علي وشك إختطاف الفرخ..

ألمحها تواسيه

تخفف عنه معلنة أنها لن تكون لغيره

حمقاء!!

الأب معدم كالحبيب، وتكاليف علاجك ودراستك ترهقه..لن يكون صعبًا أبدا ما أريده..

يتصافيان فيضحكان

وتعود هي لضحكتها الدامعة، فأتمني نزعها من بين يديه في التو.

***

أرفع كفيّ..وأتلو

أشعر بنظراته النارية تأكل تلاوتي، وفيض مشاعره يلفني بالسواد.

*** ***

- لن أكون لك..حتي لو امتلكت جسدي للأبد

- غبية

- ستأخذ مني كل شيء..إلا ما تريده

- غبية

fb/mashro3pdf

وألطم خدها الوردي الشفاف

*** ***

العاشق مغفورٌ له كل حماقة وكل فعل شرير..إسألي ألف ليلة وليلة، وأساطير القدماء

*** ***

عامٌ على زواجنا..والحي تفصيلة منطفئة من تفاصيل ذاكرتي، لكنها تتوهج تحت كل سنتيمتر من جسدها..

عامٌ..أخذت فيه كل شيء منها، عدا ما تزوجتها لأجله

عدا ضحكتها الآسرة

تمنيت أن تضحكها معي يومًا ثم أموت

لم تعد تضحك

لم تعد تبكي

لم تعد تفعل

***

القبر الرخاميّ، يهتز أمام فيض الدموع

وأتذكر

*** ***

fb/mashro3pdf

-كلنا يعلم أنك ميتة..ميتة..السل يأكل جسدك منذ زمن..أنا أردت إسعادك قبل النهاية

- ميتة!

وأتركها تبكي كما لم أرها تفعل من قبل

***

يتجاهل النظر إليّ..يمسح وجهه ببقايا ابتهالاته

وينصرف مترنحًا

تبًا..لماذا جئت اليوم بالذات؟

لماذا أيها الوغد؟

لماذا تسد دومًا طريقي للغفران؟!

ربما..لو استطعت ان أطلب منه مسامحة

أو

أطلب منها

أو..فلأطلب منك يا إلهي

***

- ستأخذ مني كل شيء.إلا ما تريده

تئن ابتسامةٌ متعبة فوق شفتي

fb/mashro3pdf

أمد يدي فأخرج تحليل البصاق..وتقرير الطبيب..أقربه من القبر وأعرضه عليها

انظري يا صغيرتي..أنتِ لن تهربي مني طويلًا

ينتابني الضحك العميق، فأستسلم له، وأضحك فلا يوقفني السعال، ولا الرذاذ الأحمر المتناثر فوق كفي..ينتابني الضحك العميق؛ فأستسلم له

و أضحك حتى تدمع عيناي

***

fb/mashro3pdf

سيحدث ذات خميس

في صبيحة أحد الخمسان، سيستيقظ الدكتور، واجدًا نفسه أرنبًا..لا..

هو لن يجزع أو يحزن لهذا كثيرًا..سيتثاءب بكسل:

-"آآآه..ها قد صرته"

سيؤلمه ظهره حين يحاول النهوض فجأة كما اعتاد؛ لذلك سيقرر البقاء في فراشه بعض الوقت.وحين يمدُّ يده -بتلقائية- ليهرش، سيقشعر بدنه قليلًا.سينهض واثبًا للأرض، ثم يعاود الوثب ليصل رأسه للمرآة!

-مم..لا بأس..

ستكون مشكلته الحقيقية في هاتين الأذنين الطويلتين..سيتحسس وجهه بأصابعه الدقيقة..شواربه المدببة ستزعجه، هو الذي لم يفكر

fb/mashro3pdf

في اطلاق شارب من قبل! سيحاول الإمساك بفرشاة الشعر، ثم تبدو الفكرة سخيفة..سيهبط للأرض مجددًا، مستمتعًا بشعور الانخفاض..

-"آخ..سيصعب عليّ كثيرا الذهاب للعمل اليوم"

وسيبدأ مزاجه بالتعكر..لا مشكلة بالنسبة للمستشفى؛ فإجازاته لم تمس..لكن ماذا عن محاضراته، وماذا عن عيادته مساء؟! وللمرة الأولى منذ فتح عينيه، سينتابه القلق، ويعود لعقله "متى ستنتهي تلك الحالة، وكيف سأعود؟!"

نظرة إلي المنبه بجوار الفراش..أرقامه الدقيقة تشير للثامنة.. يمدّ يده لتثبيت نظارته؛ فلا يجدها..كيف تأخر في نومه هكذا؟! إنه الخميس، وزوجته لا شك تجّهز لحفل المساء.

-"اف! إلى متى ستستمر في نثر أموالي على رؤوسهم؟"

سيزفر حانقًا، ثم يحاول النسيان..سيتحوّل لحجرة المعيشة.. هي لا ريب بأسفل، توجه الخدم لما ينبغي..هي لا تصحو مبكرًا إلا الخميس..سيقرر الاستمتاع بيومه..زمن طويل مضى منذ شاهد التلفاز آخر مرة..سيبقى عدة دقائق موسعًا عينيه، ربما، أو مقطبًا جبينه، أو مازجًا حاجبيه..ربما..هي دقائق على أية حال..سيغلق بعدها التلفاز، وينهض -بقرف- إلى الحمام..بعد مجاهدة، سيصل للحوض..سيفرغ جوفه الفارغ لاعنًا كل شيء، وفي المرآة، سيبدو وجهه شاحبًا..هو لم

fb/mashro3pdf

ير أرنبًا شاحبًا من قبل، لكنه وجهه، وهو يعرفه حين يكون شاحبًا.

-"ما بك؟! ألم تسمع عن هذا من قبل؟"

هكذا سيسأل نفسه ساخرًا، متشبثًا بحافة الحوض، ثم يقفز أرضًا..لا..هو لن يقفز..سيُفلتُ يديه تاركًا جسده يهوي..سيستمتع بألم السقطة، لكن صوت ارتطام عظامه بالأرض سيزعجه!

سيخرج من الحمام، عازمًا على مغامرةٍ جديدة..سيتجه إلى الطرقة المؤدية للحجرة الوردية..سيفتح الباب المغلق دومًا علي صاحبته، هو لن يستطيع فتحه بالتأكيد..لكننا سنفترض أنه فتحه هذا الصباح..

سيحاول تجاهل السؤال الملّح عن آخر مرة دخل فيها غرفة ابنته.. سيتجه -بهدوء- إلى الفراش..ملاكه الصغير، مستسلمٌ للنوم..هو ملاك أحمر الشعر، ويبتسم بشراسة أثناء نومه، لكنه ملاك..ستغيظه المجلات غير الملائكية التي تحيط بملاكه..لكنه سيبقي ملاكًا!

دقائق قليلة سيقضيها في غرفة ابنته، ثم يغادرها خافضًا رأسه.. سيفكر بدخول الحجرة الزرقاء في نهاية الممر، لكن الموسيقى الصاخبة ستنهاه، وسيعرف منها أن ابنه يستعد للخروج..

سيتذكر آخر مرة طرق فيها بابه..ربما منذ أربعة أيام، لا يذكر تحديدًا..هذه الموسيقى اللعينة تسببتْ في ألا يسمعه الولد، ولم يره

fb/mashro3pdf

تلك ليلتها أيضًا.

سيبتسم جاريًا لحجرته، سيغلق بابها ويقبع خلفه..

-"ماذا بك؟ لماذا الحزن الآن؟!"

الموسيقى الصاخبة، ذكرته بأختها الهادئة..تلك التي ميّزت أيامه الراحلة..وتذكر كمّ ال(انت عمري) التي رددها في أحضان الجامعة، وأيام امتيازه..سيداهمه إحساسٌ منسيٌ بالشجن..سيتذكر زوجته، ويراوده حنين لفراشه.."اف! متى ستنتهي تلك الحال اللعينة؟!"

وسيخرج مزيجًا من القلق والغيظ في هيئة زفرة..ثم ينتفض متذكرًا شيئًا..

-"هل أتكلم؟! هل لي صوت؟!"

وسيبدأ في تجربة هذا..سيتنحنح ثم:"احم..رجعوني عنيك..."

لا بأس..صوته الهاديً المعتاد، لم يتأرنب معه! سيعجبه ذلك، فيستمر بالغناء، وسيكمل ما نسيه بكلمات من عنده..فجأة، سيتوقف.. وستخطر له فكرة..

***

ضحكة زوجته المرحة-المائعة قليلًا- تخترق خلوته، تخترق ما لم تخترقه صاحبتها طيلة اليوم..بدأ الحفل منذ ساعة، وهي لا ريب تنتظر عودته من عيادته الآن.

fb/mashro3pdf

"لا بأس أيها الحمقى، فلأكن مفاجأة الحفل!"

سيغادر الغرفة، ولن ينسي-كعادته- أن يتطلع لنفسه..سيهبط الدرج مستمتعًا بثقل المهمة..زوجته في ثوبها عاري الكتفين، تحادث طبيبًا شابًا محمّر الأذنين..الأصدقاء، والزملاء..قشدة المجتمع التي تتحول لشوائب آخر الليل!

-"استعدوا أيها الجراثيم!"

يتنحنح..ثم يبدأ بالصياح:

"مرحبًا"

صوته سيضيع رغم علوه، وسط الصخب..

"هييي! اسمعوني"

لا أحد مصغٍ..كلهم غارقٌ في عبثه..يصرخ..يسبّ..لا فائدة.. فجأة، ستشير إحداهن إليه..

"انظروا!"

ستنجح بعد عدة محاولات في لفت انتباههم..سيشعر بالإرتباك إثر توجيه عيونهم إليه، ويفكر بالتراجع، إلا أن يدين قويتين سترفعانه عن الأرض.."آي! أذناي أيها ال...."

سيلتفون جميعهم حوله، وسيسمع كثيرًا من ال(ياي) والـ(أوريجينال)..سيحاول التملص، ويهدد بعضهم بعضّ يده

fb/mashro3pdf

الممدودة لمداعبته، لكنهم سيستمرون..

- "من أين جاء هذا؟!"

هكذا ستتساءل زوجته بارتباك.

"فيم خجلك يا حمقاء؟! أنا لست فأرًا!"

يصرخ بها غاضبًا، لكن صوته سيغرق في بحر العبث..

-"ما رأيكم..ليكن عشاءنا"

سينتفض، سيثب في وجه آسره، ويخربش يده، فيتركه هذا صارخًا..

ستجري طرقات قلبه سابقةً إياه لأعلى.سيدخل غرفته، ويختبيء تحت فراشه، محركًا أنفه بذعر..

ولن يفكر في الخروج ثانية..

***

fb/mashro3pdf

سقوط ليلة

كانت الساعة التاسعة، عندما تكلم الممر المظلم أمـام باب المكتب..قال لي أن آخر زبون قد رحل ساكبًا سخافاته ولزوجته خلفه..قال لي أن التاسعة موعدٌ مناسبٌ لإنهاء العمل شتاءً..قال لي أنها ستمطر مجددًا، وسيكون عليكِ قطع تلك الرحلة اليومية المملة، مبتلة أيضًا..

قبضتُ على سلسلة المفاتيح، ونهضتُ..

***

كانت التاسعة و النصف، حين تكلم المنديل، قال لي ألا أثق بهما كثيرا حين تدمعان..إنهما لا تفعلان ذلك حزنًا بالضرورة، ولا فرحًا بالضرورة، ولا حتي حنينًا و عطشًا بالضرورة!

هاهما تتألقان بلا سبب!

fb/mashro3pdf

فقط، هو ليلُ الشتاءِ المبتل شجناً..فقط، هي تلك المرتفعة غيمًا وكآبة وروعة، الشاهدة علي حماقات حفنة النمل أسفلها وتفاهاتهم.. فقط، هي تلك الذكري التي تنغص شتاءاتك!

***

كانت الساعة العاشرة، حين تكلم المقعد المجاور..قال لي أن المحتلَه قد تجاوز حدوده كالعادة..إنه يثرثر مع جاره باحتراف، بينما تمارس يده الهاوية العبث بساقي..تبًا لغواية تلك الابتسامة البريئة على وجهي؛ اذ أجدُ ما يفعله مضحكًا؛ فيقطع ثرثرته، ويميل إليَّ..كانت العاشرة وخمس دقائق، حينما سألني عن وجهتي..

***

كانت العاشرة وعشر، حينما تكلم جسدي، أكدَّ لي: إن الوقت يجري جري الطريق أمامك، وأنت لم تجربي مع حبيبك الوهمي إلا الأحلام! قال لي أنه بردان وحزين، وغير عابيءٍ بشيءٍ بعد..قال لي: إن قصة قلبك انتهت منذ سنوات، وأنت ذاكرتها الوحيدة! قال لي أنه لا يحب الأحلام، وأنه متعب بحق.

في العاشرة والربع، تكلمتّ خطوط يدي..قالت لي أن الحادية والثلاثين، لأمرٌ أبشعُ من الخامسة والعشرين بكثير..أبشع بست خيبات طحنني نضجًا وجفافًا..كانت العاشرة والثلث، حينما تكلمتّ ابتسامتي..قالت مرتجفة: إمبابة!

fb/mashro3pdf

وكانت الحادية عشر، حينما تكلم شارعٌ مظلمٌ مبتل..قال لي:

إنها تجربة..ماذا ستخسرين إن جربتِني؟ سماؤك ستستغفرينها لاحقًا؛ فجربي روعة الأرض إلى ذلك الحين..

كان صوته عاليًا، حتى خفتُ الفضيحة..كان أعلى من عواءِ القطط فيه..أعلى من ارتجافة أناملي بين أصابعه الصاقعة..كان أعلى من نغمة الوتر المشدود بأعصابي، وارتخاءة وعيي..أعلى من الغثيان، وأعلى من النشوة..

كان الأعلى، وقد غطتّ رغبته كافة رغباتي؛ فلم يعد هناك متعة ولا فضول؛ فقط انصياع!

كان الأعلى، حتى أخرس ذلك الجرس الزاعق بأعماقي.

***

كان الليل قد تضاعف، حينما استقبلني منزلي قلقًا..طوحتُ حقيبتي والسلام علي طول ذراعي..وزحفتّ

كان الليل موغلًا، حينما ارتميتُ على فراشي..قال لي أنني تأخرتُ..لفتني أغطيته، بينما تفحصني هو بشكّ..قال لي أن رائحتي تغيرتّ..قال لي أنني خنته مع فراشٍ آخر..فراش مظلم ومبتل..لم أرد، لأن عينيّ همستا لي بأنهما ميتتان تعباً، وانغلقتا..

ومِتُّ هذه الليلة بلا أحلام!

٢٠٠٨

fb/mashro3pdf

خلف جدار ما

اقترب..لا تخف..نامت كل العيون الآلية التي تراقب المنطقة، يكفينا الوقوف فوق هذه القمة؛ لتبدو لنا المدينة بأسرها..لا تقلق.. ستعتاد عيناك الظلام رويدًا.

دعنا ندنُ أكثر من الحافة، الأرض إسفنجية، ولم يعد السقوط من علٍ يقتل اليوم..الواقع أن كل ما بالمدينة تغير..ليس بينها وبين مدينتي القديمة سوى تلك الجدر التي أبقوها فقط لتبقى الذكرى في خلايا جسدي أبدًا.

بالطبع لست أذكر أيهم، كما أنني لا أستطيع تمييزه من هذه المسافة؛ فلا تثر أعصابي بأسئلتك..لكن..ولِّ وجهك شطر الجدار العالي غربًا..نعم هذا..انه ضخم كما أذكر جداري.

هكذا خرجنا في ذلك اليوم الموغل في القدم..كنا نحو أربعين فردًا متباينين، لا يجمعنا سوى الشعور بالحر، وذلك الرشاش الموجه لظهورنا.

fb/mashro3pdf

خلفه جثونا وأيدينا لأعلى..العرق يحتشد في حبات كبيرة على جباهنا، ثم في عيوننا؛ فلا نتمنى أكثر من السماح لنا بمسحه.

نسمع صوت الهدم، ثم صوت الحذاء الثقيل يضرب الأرض متجهًا لعربته؛ فأستغل هذه اللحظات الثمينة لأمسح عرقي - قبل أن يغزو عينيّ مجددًا- وأعود فارفع يدي مسرعًا..يرتجف قلبي الربيعي إذ ألمحه عائدًا بسلاحه، وأعاود النظر للجدار الجيري..أين أنت يا أمي؟!

تصطدم عيناي بالكلمات الصبيانية التي نحتها الأجداد على الجدار بآلة ما..خاتم..ملعقة..دبوس شعر..من يدري!..ربما بأظافرهم!

تتحدث عن الحرية والسلام..عن الوطن..أحدهم رسم علامة النصر..يا اللّه! متى يتعلم هؤلاء اليأس؟!

جذبتْ انتباهي أحرف إنجليزية..أحد الأجداد كان يتقن الإنجليزية!

إنها دعابة..يا للرائع الذي ينَّكِّت في وقت كهذا! طبعًا لا أذكرها.. أنسانيها كثرة ما سمعت من دعابات!

أذكر فقط أنها كانت أجمل دعابة سمعتها في حياتي.

أم..ربما لأني حسبتها آخرهن!

المهم أنني أخذت أضحك..يالنوبة الضحك التي اجتاحتني آنذاك! أسندت يديَّ علي الجدار؛ كي لا تهبطا دون وعي.دمعت عيناي فلم أستطع أن أميز العرق من الدموع..الحذاء الثقيل يقترب..

fb/mashro3pdf

يركل مؤخرتي ويقول شيئًا..كممت فمي بكفي، وارتجَّ بدني بالقهقهة المكتومة..أحاول -قدر استطاعتي- منع عينيّ من الوقوع على الكلمات، لكن محاولتي تسقطني في نوبة ضحك جديدة!

- تماسك ياولدي..ستنجو.

كانت هذه من جاري المسن، مربتًا بها على كتفي دون إشفاقٍ حقيقي، وفي عينيه ألمح تهكمًا مريرًا.."هه..أيها الفتيان! لا تصلحون لغير الانهيار!"

أما جارتي الصغيرة؛ فتكف عن الارتجاف، وتتطلع لوجهي بذهول.. قارنتْ سريعًا بين احتمالي النجاة من الرصاص أو من مجنون مثلي، وهكذا اتخذتْ قرارها بالابتعاد بكتفها قليلًا..عيناها جميلتان..لولا الحال؛ لوقعتُ في غرامهما.تنهدتُ وعدتُ أتطلع أمامي محاولا الفكاك من النكتة..لكن كيف وقد عششتْ في رأسي وغدا طردها مستحيلًا!

ها أنذا أعاود الضحك الهيستيري..الحذاء الثقيل يقترب..ليتك تبعد يدك عن كتفي أيها العجوز..إني فقط أضحك.

لكنه يصرُّ على أن يلعب دور الجد الطيب، وعلى ألا تبعده سوى تلك الرصاصة.

كأنها لم تنطلق قط، انطلقت لتستقر في كتفه..تصرخ الصغيرة وتحتضن الجدار برعب، وأتطلع أنا مجزوعًا لوجه الرجل الذي أنساه

fb/mashro3pdf

الذعر ألمه؛ فعاد يرفع ذراعيه لأعلى وقد ابتلت لحيته..أوشكت -أيضًا- على البكاء؛ غير أن مشهده ذكرني بنكتة الجدار!

فانخرطتُ في الضحك من جديد!

***

٢٠٠٢

fb/mashro3pdf

سماء..تراب..وماء

يا إلهي الرحيم!

مازال ينظر إليّ..مازال وجهه قمري المتحرك معي أينما ذهبت.. مازالتا عيناه المُحبتان، تثلجان صدري وتلسعان ضميري..

أعود؛ فأصب اهتمامي على الكرة..

"ضربة رائعة"..تقولها إحدى الصديقات؛ فأبتسم وأتطلع إليك..أنت لا تراني..مستندٌ لتلك الشجرة، تشغلك سماؤك كالعادة.. السماء من جديد! مازلتَ تعشقها أيها العزيز الأحمق! بينما القلب الوحيد الذي يعرف كيف يحبك هنا..خطوة، تفصلك عنه!

أصدُّ ضربة مفاجئة وأستدير إلى الآخر، كالعادة، ترتعش رموشه ارتباكًا، ويهرب بعينيه للنهر..النهر من جديد! رغم التقلب والتمرد والنفور!

fb/mashro3pdf

أعـود للكرة؛ فأقذفها بعنف..تتراجع خصمتي عدة أمتار، ثم تتلقاها، أستغل الفرصة وأرمي إليك نظرة أحاول جعلها عابرة..شارد.. تنظر للاشيء كالعادة يتهامسون عن كآبتك..عن شرودك وانعزالك.. عن نظراتك الغامضة، وأنا..لا يعنيني منك سوي كارثتي..أنا أَحَب.. هذا الرجل هناك يحترق حبًا لي، بينما أنا انصهرت فيك منذ زمن.. الأمر إليك، فانظر ماذا ترى!

"هدف"

هكذا صاحت ضاحكة؛ فشاركتها الضحك..

"كنتِ شاردة"..وغمزتْ بعينها؛ فعدتُ أضحك ارتباكًا..أطوّح برأسي؛ فأَصطدم بعينيه مجددًا..انكسرت ابتسامتي ونظرتُ أرضًا..تبا!

متي يداوي نفسه مني؟ متي يكف عني؟!

أقذف الكرة بخمول؛ فتعود إلـيّ كقذيفة..أتراجع عدة أمتار، أمرٌّ بك، فتعبرني إلي اللاشيء اللعين..أتناول الكرة..أمررها بين يديّ..ومن البؤرة العمياء، ألمحه لا يتزحزح عني..أقذفها مرفقة بـ"آه"ضخمة، تمنحها عنفٌ لم أقصده..أف! ليته يبتعد قليلًا..أو.. ليتك تقترب خطوة!

آه! يالها من ضربة!

أقفز لأتناول الكرة..أقفز..أتلقاها..أحتضنها..ثم..أسقط أرضًا..

fb/mashro3pdf

تضحك صديقاتي، وسط تأوهاتي، بينما..تجري أنت بجزع..تمدّ لي يدك..وأنا علي الأرض، تتساقط قطرات الحب والقلق من عينيك فتغرقني، وعلى الجلبة..ينهض الآخر من خلف شجرته..ينتزع عينيه من سمائه..يتطلع للموقف بفضول..تضيق عيناي رغمًا عني، وأنا ألمح يدك الممدودة، وعينيك القلقة..تحبني؟

حقًا؟!

وأنا أنشغل عنك بذلك الناظر للسماء!

مازالت ممدودة إليّ..ففف..أنا أحب سواك..حاول أن تفهم! سأصدمك..ستتحطم روحك غير المغامرة، وستنجرح تلك النجمة التي تحملها ضلوعك..أحب سواك..لكن..اليد الممدودة، و العينان.. يا الهي!

"أنتِ بخير؟"..تسألني بصوت زاد الأمر سوءًا..لست بخير..أنا على التراب..

على التراب، غابت عني كل حقائق الدنيا، ولم يعد بذهني سوي يدك المشتاقة..وحدها، حقيقة ثابتة..تدور من حولها الأرض..

أمدّ يدي إليها..نعم..هي..ستعينني على النهوض..أدير عينيّ إليه كنظرة وداع..هناك..بجوار شجرته، يتطلع إليّ أخيرًا، وعلى شفتيه ابتسامةٌ لم أرها من قبل..ابتسامةٌ لي أنا..

fb/mashro3pdf

تلامست أناملنا؛ فاستدرت منزعجة. ارتجفت أصابعي متراجعة...

-لـ.لا بأس..يمكنني النهوض..

اتكأتُ على الأرض، وانتفضتُ واقفة..تُقذف لي الكرة مجددًا؛ فأتناولها شاردة..أعود بعينيّ إليك، فتعود بعينيك إليها..

كان هو يعتدل مانحًا عينيه للموج بحنين..يسحب يده هادئًا.. يقبضها على جرحه..بينما، أقبضها على لا شيء!

***

٢٠٠٤

fb/mashro3pdf

نهاية يوم

يعاودني ألم ظهري؛ فأجلس متجاهلًا شراسة نظرات أخي.. يوشك اليوم على الإنتهاء، وأنا لا أطيقُ صبرًا للاختلاء بنفسي.. تهاجمني مشاعري، وترجُّ ذهني أشياءٌ وأشياء! عبثًا أقاومُ الشرود.. لو ابتسمت ستكون الفضيحة!

- شِدّ حيلك..البقاء للّه.

اخترقتْ العبارة أشجار ذهني المتشابكة، ووصلتْ متأخرة.. انتفضتُ ناهضًا

- ونعم باللّه..

اليدُ الألف التي توضع على الكتف المنهك منذ الصباح، والذهنُ لم يصفُ بعد ليميز صدق أيديهم من شماتتها!

منذ انطلاق الصرخة الأولى من حجرتك، لم أتمالك نفسي..

fb/mashro3pdf

تزورني رغمًا عني كلمة "أخيرًا"؛ فأطردها!

أعقد يديّ أمامي راسمًا على وجهي أمارات الحزن، بينما الذهول هو الغالب داخلي..حقًا ذهبتَ أخيرًا!

وأمام قبرك في الصباح، ورغم هيبة السواد وجلال الدموع، أذكرها..

عيناها تتمثلان لي كبحريّ شماتة لا شاطيء لهما..أتساءل عن مكانها الآن..وتشتاق وجهَها الأسمر كلُ ذرات جسدي..

نعم..يوشك يومك على النهاية..ومع انصراف آخر المعزين، يمكنني أن أطير لحجرتي مستضيفًا الذكرى، فأبكي..وأتشفى..

جالسًا من جديد..ألعن إرهاق اليوم الطويل، وآلام ظهري.. أتناول فنجان قهوة آخر؛ فأسكبه فوق الصخرة اليابسة بصدري..ها هو السرادق يلفظ آخر المادّين يدهم، وأنهض متوجهًا للداخل..ألمح أخي يودع (كبار المعزين) متكئًا على عصا الراحل الغليظة، مستترًا بعباءته الفخمة

استبْقتني نظرته؛ فرفضت الانصياع..أهرع للداخل وأصعد الدرج حالمًا بفراشي، لكن..قدماي تعصياني وتتجهان لحجرته هو!

تحت أنفه الضخم أجلس، وأشعل سيجارتي أمام عينيه للمرة الأولى، متحديًا صرامة نظراته..

fb/mashro3pdf

أطيل النظر لوجهه؛ فتتمثل لي عيناها كعقاب، وتعاودني الذكرى..

- تتجوز دي! دي!

- يا حاج..

- اخرس!

ترج هذه ال (إخرس) بالذات ذاكرتي مرارا؛ فأخرس ملقيًا عينيّ أرضًا..

- ياللا نهرب

- مش ح يسيبنا!

- يتفلق!

تبتسم من بين دموعها حين تلمس اختناق الكلمة..يموت انفعالُ وجهي؛ فأدفنه بين كفيّ..

تبًا لوجع الظهر!

أطفيء سيجارتي محاولًا إخماد الذكرى التالية..تتسول ذاكرتي؛ فأطرد تفاصيلها بقسوة!

صراخ أخي يقتحم خلوتي..

- مفيش خميس..دة كفر..واقلعوا الأسود ده!

يمتليء قلبي غيظًا، ويبقى الخمول مختلطًا بألم أطرافي..يهدم صراخ أخي حصون عنادي؛ فتعاود الذكرى الهجوم..

أراهما..أخفي وجهي..أتأوه، ووسط ظلمة أفكاري كريهة الرائحة،

fb/mashro3pdf

يتبدى لي جمالها الذبيح..طفولتنا..أحلامي لها..

ومع انصعاقه أمام النور، يجذب الحاج الصارم يدها، بينما تحاول لملمة جراحها..

- البت دي ما تفضلش هنا!

تقف الفتاة شامخة رغم عريّها..رغم عيون أهل البيت الساهمة تهاجمه؛ فيلطمها معيدًا إياها للأرض، ويركلها مرارًا "برة بيتي يا فاجرة..برة!"

أدفن وجهي من جديد، محاولاً إزالة ما علق به من نظراتها.. أعاود التطلع لوجه أبي..آن لك أن تغمضهما..أغمضهما للأبد..

يعلو صوت أخي من جديد..

- قلت ميت مرة القرآن ع الميت بدعة..اقفلوه!

اشتعلت أعماقي..لابد من إيقاف هذا الولد..بحثت ببصري عن عصا أبي؛ فلم أجدها..أحاول الوقوف، لكن ساقيّ تواصلان العصيان..

- آه!

التصقت قدماي بالأرض، وتخشّب ظهري..أحاول الوقوف مرارًا فلا أقدر..أتشبث بذراعيّ مقعدي..

ويغطي صياح أخي بالأسفل على أنّاتي!

٢٠٠٤

fb/mashro3pdf

إدانــة

وحيدٌ تمامًا..

***

بالواقع، لم يبدُ عليه قط، أنه من سرق عهدة الصراف..كان (ابن ناس) بالمعني المتعارف عليه..لكن، عيناه..يا الهي! وتلك البسمة العجيبة! هل تستطيع أن تحملها ما لم تكن لصًا؟!

***

في مكتبنا منذ عدة أيام، وسط الملل الملاصق، رُزقنا بالخبرِ صباحًا من إحدى عاملات المستشفى، جاءت مشمرة ساعديها كعادتهن..

-مش أستاذ أحمد بركة اتسرق!

توالت الهمهمات المستنكرة، وبرزت على بعض الشفاه ابتسامات خبيثة، سرعان ما تحولت لسؤال مشفق:

fb/mashro3pdf

- يا خبر! امتى!

- امبارح ف النوبتجية..دخل المسجد يصلي وف جيبه ٤٠٠٠ جنيه..علّق الجاكت..علّقه الحرامي!

وتوالى الدعاء بخراب بيت ابن الكلب الحرامي، إلهي ما يوعي يصرفهم!

وتخرج العاملة وهي تقول بثقة:

- بس مين..(أم عبده) شافته وهو طالع يجري وحفظت شكله.. مصيره يرجع..ده مريض درن

ينتظر الريس خروجها ليتمتم بتهكم:

- تاني يا أحمد يا بركة..انت استحليتها!

أنظر له بعدم فهم بدايةً، ثم أهزُّ رأسي ضاحكًا، وأقول مستمتعًا بإرعابهم:

- يا تري حيلموا مننا كام المرة دي؟!

تتوتر الابتسامات، ويدفن كل وجهٍ قلقه في دفتره!

***

وحيدٌ تمامًا..نحيلٌ تمامًا..

***

fb/mashro3pdf

- مسكوا الحرامي! مسكوا الحرامي!

- ايه! فين؟!

في مشهد نادر، يجري جميع العاملين إلى الادارة، حيث يشاهدون اللص المكبل..ينتشر الخبر في جميع الأقسام؛ فتحل سعادة الدنيا في وجوه الموظفين، ويهرولون دون إذن..ويتركنا الخبر، طائرًا إلى العنابر، فتنتهز كل سيستر أقرب فرصة للهروب!

أتطلع للفراغ الهاديء حولي، شيء ما، بقاع القلب، يمنعني من الذهاب للإدارة..أحاول أن أملأ الفراغ الهاديء بالعمل، لكن صورة الأستاذ أحمد بركة، المتعجل، اللبق، الذي يعرف ما يفعله تمامًا، تظهر أمامي فجأة..

سأذهب..لن أذهب..

لن..خط منكسر شديد التحفظ..تُري..كم من الوقت سيبقي هنا؟! لا أعتقد أنهم بهذه القسوة..لابد أن يأخذ العرض وقته كاملًا.

الأوراق المنفرة، تمارس خصائصها بمنتهي الاجتهاد..فتتصلب عيناي على الأرقام..بالكاد أميّز كونها أرقامًا..

سأذهب..

لا لن..

العام الماضي، سُرق ألفان..وتم تجميع المبلغ في يومين..الكل

fb/mashro3pdf

يحب بركة؛ إنه الصراف، فكيف لا تحبه؟!

أنا الأحمق الوحيد الذي يكره المتعجلين اللبقين، الذين يعرفون ما يفعلونه تمامًا!

لن أذهب..سأذهب..سـ

***

وحيدٌ تمامًا..نحيلٌ تمامًا، أثر القيد على معصميه، يعود لأبعد من يومنا بكثير!

***

يقف أستاذ أحمد على باب الغرفة، والجمع حوله يتوسلون له:

-يا أحمد دخلني..حبص بصة واحدة.

- أستاذ أحمد..أنا حقولك هو والا لأ!

- عليَّا الطلاق قلم واحد مني وحيطلع الفلوس!

أقترب منه..واثقٌ..يعرف ما يفعله تمامًا..

- أستاذ أحمد..هو والا مش هو؟!

- طبعا هو..مشفتوش لابس ايه؟! لأ وشايل عدة جديدة ابن الكلب

- يعني هو والا لأ؟

- انت بتهرج؟ ده لابس جاكت بأكتر من مرتبي!

fb/mashro3pdf

ومادام الضمير يعود إليك، لا إليه فمن منا يهرج أيها الأحمق؟!

- بس..كل اللي بتقوله ده، ميأكدش إنه هو!

بانكسار، تخرج من في، فيلتقطها زافرًا بغيظ، يقول بسرعة، ملوحًا بالعدة الجديدة:

- عموما أم عبده جاية، وهي اللي حتأكد.

***

وحيدٌ تمامًا..نحيلٌ تمامًا..أثر القيد في معصميه، يعود لأبعد من يومنا بكثير..آثار الضرب على وجهه، وأنّات خفيفة من حين لآخر، تصيبك بمزيج عجيب من الشفقة والاشمئزاز!

***

الجمعُ المحتشد، من كل طوائف العمل بالمستشفى، يتعالي لغطه..يتكاثر قيله وقاله..وباب المدير مغلق، وقد قرر ألّا يتدخل..من حق العاملين بعض المرح من حين لآخر!

ومن أحد شقوق الـ(جنينة)، يتقدم عم درويش بملابسه الملوثة بالطين، وجسده الدقيق، حاملًا عصا غليظة، وقد احمَّر وجهه حميةً وحماسًا..

- بص بقي يا بيه..أنا حتصرف معاه..

تصرخ إحداهن، وتداري وجهها، بينما أتابع الموقف وقد بدأ يروقني..

fb/mashro3pdf

البعض يحي عم درويش على فكرته، والبعض يسدٌّ طريقه مستنكرًا

- وبعدين..خلاص يا اخواننا اللّه يكرمكم..الحكومة جاية وهم حيتصرفوا.

هكذا يحسم رجل المواقف الأمر، بينما أسأل إحداهن:

- هو خرج تحسن والا هروب؟

- إداري..سوء سلوك.

- سوء إيه؟..دة TB

تهز السيستر كتفيها، وتقول عبر علكتها:

- ولو..ده كان مبهدلنا..مش سايب ولا ممرضة إلا اما يعاكسها..

تخونني تلك الخبيثة بجانب فمي..تتراقص حتى تصل مدوّية.. تنظر تجاهي السيستر بتوحش؛ فأقول:

- معاه حق يا قمر..لو مكانه مش بس حعاكس؟

ينقلب توحشها لابتسامة حياء فشلت منذ زمن..

أيتها الـ..سيستر؟

منذ متي يضايقك سوء السلوك؟

أتجه للأستاذ أحمد مجددًا..

- ممكن أدخل أبص عليه؟

fb/mashro3pdf

يستسلم أمام ميوعة الطلب، ويفتح الباب..أدخل..أنظر إليه، متكومًا على الأرض بجانب المكتب الإيديال العتيق..تراها صفرة المرض، أم صفرة ذلك المصباح الحكوميّ الشاحب، تلك التي علتْ وجهه؟!

أقترب منه..وحيدٌ تمامًا..نحيلٌ تمامًا..أثر القيد في معصميه، يعود لأبعد من يومنا بكثير..آثار الضرب على وجهه، وأنات خفيفة من حين لآخر، تصيبك بمزيج عجيب من الشفقة والاشمئزاز!

أحمقٌ كبير، هو من يعتقد بهذا البائس لصوصية ما..لكن..تبًا!.. يرفع رأسه..يتطلع إليّ..تبًا!

***

أخرج هادئًا، وقد قررت ألّا أبحث طويلًا..ماذا يفيدني أنا، إن كان لصًا أو كان بريئًا أو كان بين بين؟ لن يحلَ هذا مشاكلي الخاصة..كن ما شئت يا ذا الابتسامة العجيبة..فلتكن الشيطان ذاته!

أم عبده! أم عبده!

البطلة عملاقة الجسد، قادمة تشق طريقها بحماس وسط الجمع.. تكتسب فجأة أهمية قصوي، تجعلها تتيه فخرًا..يُخلى لها الطريق.. يُفتح لها الباب..تدخل واثقة..

تصلبت الأعين على الباب، وخشعت الأصوات، فلم أعد أسمع إلا همسًا..الآن، يعلو التوتر واللهفة وجوه المدعوين، وتخرج المرأة، ومعها

fb/mashro3pdf

دليل الشرف أو الوصمة الأبدية..

يظهر وجهها في مرمى النظرات؛ فألمح فيه وجهي منذ دقائق..

***

وحيدٌ تمامًا..نحيل تمامًا، أثر القيد في معصميه، يعود لأبعد من يومنا بكثير..

نظارتي السميكة، تتابع عينيه المتورمتين، واللتين برقتا من خلف زجاج الأتاري..تتباعد طبقتيّ الزجاج بيننا؛ فأهمس لأقربهم مني:

- أنا حاسس إنه مش..

تصطدم عيناي بابتسامته اللعينة ملوِّحة..فيهتز منطقي مجددًا، وتغطي طبقة جليدية سطح شعوري..

- حيكون مين يعني..أكيد هو!

***

٢٠٠٨

fb/mashro3pdf

فهرس المحتويات

بعيدًا 7

تحت نافذتي 12

بعضُ الطيور 15

علّاز 20

بالطابق الثاني 24

عدد: اثنتان.. 30

رغبة 37

كرباج سعادة 42

شيخـوخة 47

fb/mashro3pdf

بين النملة، وشعاع الشمس 51
بقايا قطرات 55
عروى 58
سيحدث ذات خميس 64
سقوط ليلة 70
خلف جدار ما 73
سماء..تراب..وماء 77
نهاية يوم 81
إدانـــة 85

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf